

**الأمن الإنساني في سياقات التحول:
قراءة نفسية - اجتماعية في ديناميات القلق والانتماء
Human Security in Contexts of Transformation:
A Psycho-Social Reading of the Dynamics of
Anxiety and Belonging**

سامية شيرين بن دهنون*،
جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة
samya.bendahnoun@univ-saida.dz

تاريخ القبول: 2025/05/27

تاريخ الاستلام: 2025/04/18

ملخص:

شهد مفهوم الأمن الإنساني تحولاً من التركيز على حماية الدولة إلى الاهتمام بالفرد واحتياجاته الأساسية، إلا أن البُعد النفسي - الاجتماعي ظل مغفلاً في كثير من الدراسات، التي ركزت على المؤشرات الاقتصادية والمؤسسية دون التطرق إلى الخبرات الذاتية ومشاعر الأمان أو القلق. تسعى هذه الدراسة إلى سد هذا النقص من خلال تحليل تفاعل القلق والانتماء في تشكيل تجربة الأمن الإنساني داخل سياقات التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، حيث تتزايد مشاعر القلق وتضعف روابط الانتماء. وتشير الدراسة إلى أن هذه السياقات المتحوّلة، بما تحمله من تغيرات سريعة وأحياناً جذرية، تُعيد تشكيل تصوّرات الأفراد عن الأمان والانتماء، وتؤثر في بنيتهم النفسية والاجتماعية. تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، مستثمرة مفاهيم من علم النفس والاجتماع، ومستخدمه أمثلة تطبيقية من الواقع المعاصر، كأوضاع اللاجئين، والمجتمعات الخارجة من النزاع، والمجتمعات الواقعة تحت ضغط اقتصادي. وتشير نتائج الدراسة إلى أن الأمن الإنساني لا يُختزل في البنى والسياسات، بل يتأسس على توازن نفسي-اجتماعي يربط الفرد بشبكات من

* المؤلف المراسل

المعنى والانتماء. كما تُظهر أن القلق الوجودي والتفكك الاجتماعي يُعدّان من أبرز التهديدات المعاصرة للأمن، في حين تمثل الروابط المجتمعية والرمزية عناصر محورية لتعزيز الطمأنينة النفسية والصمود في وجه الضغوط النفسية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الأمن الإنساني - القلق - الانتماء - البعد النفسي - البعد الاجتماعي.

Abstract:

The concept of human security has shifted from a focus on state protection to an emphasis on the individual and their basic needs. However, the psychosocial dimension has often been overlooked in many studies, which tend to focus on economic and institutional indicators while neglecting subjective experiences and feelings of safety or anxiety. This study seeks to address this gap by analyzing how anxiety and belonging interact in shaping the experience of human security within contexts of social, political, and economic transformation, contexts marked by growing anxiety and weakened social bonds. The study suggests that these shifting contexts, reshape individuals' perceptions of safety and belonging and deeply affect their psychological and social structures. It adopts a descriptive-analytical approach, drawing on psychological and sociological concepts and incorporating practical examples from contemporary realities, such as the conditions of refugees, post-conflict societies, and communities under economic strain. The findings indicate that human security cannot be reduced to structures and policies alone; rather, it is grounded in a psychosocial balance that connects individuals to networks of meaning and belonging. Furthermore, existential anxiety and social fragmentation emerge as key contemporary threats, while communal and symbolic ties serve as vital components in fostering psychological.

Keywords: Human security, Anxiety, Belonging, Psychological dimension, social dimension. □



مقدمة:

في العقود الأخيرة، شهد مفهوم "الأمن" تحولاً عميقاً تجاوز المقاربات التقليدية التي كانت تركز على حماية الدولة من التهديدات الخارجية أو الحفاظ على النظام العام. فقد أصبح من الضروري، في ظل الأزمات المتلاحقة والتحوّلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتسارعة، إعادة النظر في ماهية "الأمن" من منظور يضع الفرد في مركز الاهتمام. هكذا ظهر مفهوم الأمن الإنساني باعتباره تصوراً شاملاً لا يُعنى فقط بالحماية من العنف، بل يركز على ضمان كرامة الإنسان، وحرية من الخوف والحاجة، وقدرته على تحقيق حياة ذات معنى. (خشايمة وحدادي، 2021، ص 224)

لكن، ورغم هذا التحول المفاهيمي، لا تزال الخبرة المعيشة للأمن مغيبّة عن كثير من التحليلات. فهل يكفي وجود بنى سياسية أو اقتصادية مستقرة حتى يشعر الإنسان بالأمان؟ أم أن الأمن الإنساني يتجاوز ما هو مؤسّساتي إلى ما هو نفسي واجتماعي؟ في واقع تتزايد فيه الضغوط الوجودية، والقلق الجماعي، وتجارب التفكك والانقطاع، تظهر الحاجة إلى مساءلة الأمن الإنساني من زاوية التجربة الشعورية للفرد، وخاصة من حيث علاقته بقطبين أساسيين: القلق من جهة، والانتماء من جهة أخرى.

ينبع اختيار هذا الموضوع من الحاجة الأكاديمية والمجتمعية لفهم كيف يُبنى الإحساس بالأمن في المجتمعات المعاصرة التي تمر بتحوّلات جذرية. فالحديث عن الأمن لم يعد ممكناً بمعزل عن السياقات النفسية والاجتماعية التي توطّره، خاصة في ظل الأزمات الجماعية (كجائحة كورونا، والنزاعات، والتغير المناخي، والتحوّلات الرقمية) التي أثّرت بشكل مباشر على الاستقرار النفسي والتماسك الاجتماعي للأفراد. لذا، فإن تناول موضوع الأمن الإنساني من زاوية نفسية-اجتماعية يسمح بكشف الديناميات الخفية التي تؤثر في شعور الإنسان بالأمان أو بالتهديد، بعيداً عن الخطابات السياسية أو الأمنية الرسمية.

تنبثق إشكالية هذا المقال من مفارقة أساسية: رغم ازدياد أدوات الحماية والتحكّم في العالم الحديث، يتنامى الإحساس بعدم الأمان لدى الأفراد. كيف يمكن فهم هذا التوتر بين التحصين الخارجي والهشاشة الداخلية؟ وهل يمكن

اعتبار القلق الوجودي وفقدان الانتماء تهديدين حقيقيين للأمن الإنساني، مثلما هو الأمر في الفقر أو الحرب؟

من هنا يُطرح السؤال الرئيسي الآتي: كيف تتفاعل ديناميات القلق والانتماء في تشكيل تجربة الأمن الإنساني في سياقات التحول الاجتماعي والثقافي؟

ويندرج ضمن هذا السؤال المركزي عدد من التساؤلات الفرعية، أبرزها:

- ما الفرق بين الأمن كواقع موضوعي وبين الأمن كتجربة شعورية؟
- كيف تسهم التحولات الاجتماعية والاقتصادية في تصعيد مشاعر القلق الجماعي؟
- ما هي أشكال الانتماء (الدينية، الثقافية، المجتمعية) التي تساهم في تعزيز الإحساس بالأمن؟
- كيف يمكن أن تلعب الرموز الجماعية أو الطقوس أو الروابط الاجتماعية دوراً في إعادة بناء الطمأنينة النفسية؟
- وهل يمكن للأمن الإنساني أن يتحقق بدون معالجة الجوانب النفسية التي تؤسس لشعور الفرد بالاستقرار والهوية؟

أهداف الدراسة:

يسعى هذا المقال إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تحليل البنية النفسية للأمن الإنساني، من خلال التركيز على العلاقة بين القلق والانتماء.
- إبراز الطابع المركب للأمن، بوصفه نتاج تفاعل بين معطيات اجتماعية-ثقافية وأخرى شعورية-نفسية.
- إعادة التفكير في الآليات الرمزية والجماعية التي يلجأ إليها الأفراد لتعزيز شعورهم بالأمان في سياقات التهديد.
- اقتراح قراءة نفسية-اجتماعية متكاملة مع المقاربات البنيوية والحقوقية لمفهوم الأمن الإنساني.

منهج الدراسة:

يعتمد المقال على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال توضيف مفاهيم من علم النفس (مثل: القلق، الشعور بالتهديد، الهوية، الطمأنينة النفسية) وعلم

الاجتماع، بهدف الإجابة عن أسئلة البحث وتوضيح مدى اعتبار القلق الوجودي وفقدان الانتماء تهديدين فعليين للأمن الإنساني. كما يستند المقال إلى تحليل مقارنة لعدد من الأمثلة والسياقات المعاصرة التي تُبرز تداخل العوامل النفسية والاجتماعية في بناء الإحساس بالأمن أو تقويضه.

أولاً: مفاهيم الدراسة:

يمكن تحديد مفاهيم الدراسة فيما يلي:

1. الأمن الإنساني:

1.1. مفهوم الأمن الإنساني:

يشير مفهوم الأمن في اللغة إلى حالة من الاطمئنان تنشأ عن الثقة بالآخر، وبالله تعالى، ومنه اشتق مصطلح "الإيمان". ومع تطور الظاهرة الإنسانية وتعدد السياق التاريخي، لم يعد الأمن يُفهم بمعناه التقليدي فقط، بل شهد تحولاً مفاهيمياً يعكس التغيرات التي طرأت على المشهد الدولي. فقد تعددت الفواعل في النظام العالمي، وتتنوع مصادر التهديد، داخلياً وخارجياً، على نحو لم تعد معه مقاربات الأمن التقليدية كافية. من هنا برز مفهوم "الأمن الإنساني" كمقاربة تستجيب لتحديات الواقع المعاصر وتسعى إلى تجاوز اختزال الأمن في استقرار الدولة وبنيتها السياسية. (قمار، 2023، ص 837)

وقد عرّف الأمن الإنساني بأنه: "أمن الإنسان من الخوف (مثل القهر، والعنف، والتهميش) ومن الحاجة (كالفقر، والحرمان، وانعدام التمكين الاجتماعي)، وهو ما يقتضي خلق ديناميكية جديدة تُدرج الإنسان في صلب الأولويات التنموية والسياسية، بدلاً من التركيز الحصري على استقرار النظام السياسي وبيئته".

كما عرّفته "لجنة الأمن الإنساني" بأنه: "حماية أسس البقاء بطريقة تُعزز من حقوق الإنسان وحياته الأساسية".

ينطلق هذا المفهوم من اعتبار الفرد هو محور الأمن، إذ يهتم بإزالة جميع التهديدات التي تطل أمنه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، مع التأكيد على ضرورة الإصلاح المؤسسي، سواء من خلال تطوير المؤسسات الأمنية القائمة أو إنشاء بدائل جديدة، على المستويات المحلية والإقليمية والدولية. كما يرتبط الأمن الإنساني ارتباطاً وثيقاً بتنفيذ الالتزامات الدولية المتعلقة بحماية

الأفراد، وهو ما لا يمكن تحقيقه بمعزل عن أمن الدول ذاتها. (سيد كامل رجب، 2023، ص 861)

وقد لخص الأمين العام السابق للأمم المتحدة، كوفي عنان، في تقريره لعام 2000 المعنون بـ"نحن البشر"، هذا التوجه الجديد في توصيفه للأمن الإنساني، حيث اعتبره مفهوماً شاملاً يتجاوز غياب الصراعات العنيفة، ليشمل حقوق الإنسان، والحكم الرشيد، وإمكانية الوصول إلى التعليم والرعاية الصحية، وضمان فرص الحياة الكريمة وتمكين الأفراد من تحقيق ذواتهم. كما أشار إلى أن كل خطوة في هذا الاتجاه تساهم في الحد من الفقر، وتعزيز النمو الاقتصادي، ومنع النزاعات، وحماية البيئة للأجيال القادمة، وهو ما يشكل القاعدة التي يُبنى عليها أمن الإنسان، وبالتالي الأمن القومي بمعناه الأوسع. (بلميهوب، 2024، ص 449)

يقوم الأمن الإنساني على ستة محاور مترابطة تهدف إلى ضمان كرامة الإنسان وسلامته:

- الأمن الاقتصادي: تأمين حدّ أدنى من الدخل والمعيشة، إذ يؤدي الفقر والبطالة إلى اضطرابات مجتمعية وسياسية.
- الأمن الغذائي: يرتبط بتوفر الغذاء وإمكانية الحصول عليه، لا بندرته، بل بعدم عدالة توزيعه وضعف القدرة الشرائية.
- الأمن الصحي: يشمل الحماية من الأمراض ونمط الحياة الضار، ويُعد الأطفال والفئات المهمشة الأكثر عرضة للمخاطر الصحية.
- الأمن البيئي: يهدف لحماية الإنسان من آثار التدهور البيئي، كالتلوث وتغير المناخ وفقدان التنوع الحيوي.
- الأمن الشخصي: يتعلق بحماية الأفراد من العنف والجرائم، وضمان سلامتهم الجسدية والنفسية.
- الأمن السياسي: يضمن احترام الحقوق الأساسية، والمشاركة السياسية، والحماية من القمع والانتهاكات.

2.1. خصائص الأمن الإنساني

- يتميّز مفهوم الأمن الإنساني بعدد من الخصائص الجوهرية، ويمكن تلخيصها فيما يلي: (قمار، 2023، ص 839)
- يتمحور حول الإنسان كذات فاعلة، بغض النظر عن جنسه أو عرقه أو طبقته الاجتماعية؛ ويركّز على كيفية معيشته وممارسته لاختياراته في بيئة عادلة ومنصفة. (مسري، 2022، ص 140)
- لا يُعدّ بديلاً عن الأمن القومي، بل يُكمّله ويُعدّ شرطاً جوهرياً لتحقيقه واستدامته.
 - يركّز على الوقاية من التهديدات بدلاً من الاقتصار على مواجهتها عند وقوعها، ما يجعله مقاربة استباقية ووقائية.
 - يندرج ضمن إطار التنمية المستدامة، حيث لا يمكن تحقيق الأمن الإنساني بمعزل عن العدالة البيئية والاجتماعية والاقتصادية.
 - يتأسس على مبادئ سيادة القانون، والتحرر من الخوف، واحترام الكرامة الإنسانية.
 - يتمتّع بطابع كوني، إذ إن التهديدات التي تواجه الأمن الإنساني (كالفقر والمخدرات والجريمة والتلوث والأوبئة) لا تعرف الحدود الجغرافية، وغالباً ما تتخطى آثارها المجتمعات المحلية لتؤثر على البشرية جمعاء.

2. القلق النفسي:

1.2. تعريف القلق النفسي:

يُعرّف القلق على أنه حالة انفعالية معقدة تتسم بمشاعر من التوتر، والانعراج، وعدم الاستقرار النفسي، يصاحبها غالباً إحساس غامض بالخوف من تهديد غير محدد أو متوقع. ويُعدّ القلق أحد أشكال الاستجابات النفسية الطبيعية في المواقف التي تنطوي على عدم اليقين أو الترقب، لكنه قد يتحوّل إلى حالة مرضية مزمنة إذا تجاوز مستوياته الاعتيادية وأثر على الأداء اليومي للفرد. (نابتي، 2024، ص 30)

ويمثّل القلق ظاهرة نفسية متعددة الأوجه، حيث تختلف أنواعه وأسبابه باختلاف السياقات الشخصية والاجتماعية والبيولوجية. وتكمن أهميته في

كونه مؤشراً دقيقاً على ديناميات الخوف، والصراع الداخلي، وانعدام الشعور بالأمان، مما يستدعي الوقوف على أسبابه ومعالجته بطرق فعّالة وشاملة. (الصوفي بكييل وصحراوي، 2012، ص 41).

2.2. أسباب القلق النفسي:

ينشأ القلق النفسي من تداخل معقد بين عوامل بيئية ونفسية ووراثية وبيولوجية وأمنية، تختلف باختلاف السياقات الفردية والاجتماعية. (الريماوي، 2014، ص 59).

تشمل العوامل البيئية ضغوط الحياة اليومية كالمشكلات الاقتصادية والعلاقات المتوترة، والتي تعزز الشعور بفقدان السيطرة. أما العوامل النفسية، فتتعلق بالبنية الذاتية للفرد، مثل ضعف احترام الذات أو التعرض لتجارب صادمة، مع غياب آليات فعّالة للتكيف.

تلعب الوراثة دوراً في زيادة القابلية للإصابة بالقلق، دون أن تكون حاسمة. كذلك، تؤثر الاختلالات الكيميائية في الدماغ، خاصة في النواقل العصبية المسؤولة عن المزاج، في ظهور الأعراض القلقية.

ومن جهة أخرى، يمثل غياب الأمن الإنساني عاملاً محفزاً أساسياً للقلق، إذ يؤدي تهديد الكرامة أو الاستقرار أو الحقوق الأساسية إلى شعور دائم بالانكشاف والخوف الوجودي، مما يربط بين الأمن النفسي والأمن الإنساني كشرطين متلازمين. (بوعون وقارة، 2025، ص 160)

3. تعريف الانتماء ومكانته النفسية والاجتماعية:

يُعرّف الانتماء على أنه شعور داخلي يُعبّر عن ارتباط الإنسان ودعمه لشخص أو جماعة أو فكرة أو كيان معيّن، ويتجلّى هذا الارتباط في سلوكيات تعبّر عن الولاء، والالتزام، والتعاون. ولا يقتصر الانتماء على مجرد مشاعر وجدانية، بل يتجاوز ذلك ليشكّل نمطاً من التفاعل الاجتماعي الذي يعكس مدى رضى الفرد عن البيئة التي ينتمي إليها، ومدى استعدادة للدفاع عنها والمساهمة في تطويرها. (عبدي، 2018، ص 7)

ويُنظر إلى الانتماء بوصفه أحد الاحتياجات النفسية الأساسية التي تسهم في تشكيل هوية الفرد وتعزيز شعوره بالاستقرار والأمان. كما يمثل وظيفة

اجتماعية محورية، تدفع الإنسان إلى تجاوز أنانيته الفردية والانخراط في منظومات أوسع، سواء كانت أسرية أو مهنية أو ثقافية أو وطنية، بما يعزز التلاحم الاجتماعي ويقوّي نسيج العلاقات الإنسانية. (دشيشة ولبوز، 2019، ص 46)

ويرى بعض الباحثين في علم النفس أنّ الانتماء قد يكون سلوكاً مكتسباً أو تكيّفاً نفسياً يتشكّل باكراً داخل الأسرة، وينتقل بين الأجيال عبر أنماط التفاعل والتنشئة. كما يؤكّد آخرون أن الانتماء لا يُختزل في المشاعر فقط، بل يرسخ عبر الممارسة والتجربة المتكرّرة، ليتحوّل مع الزمن إلى جزء من البنية الشخصية للفرد. (محمدي، 2016، ص 103)

ثانياً: تحليل أبعاد القلق والانتماء في ظل تحولات الأمن الإنساني:

يشير مفهوم الأمن إلى حالة من الطمأنينة تتبع من الثقة. ومع تعقّد السياق الدولي وتعدد مصادر التهديد، لم تعد المقاربات التقليدية كافية لفهم الأمن. من هنا ظهر مفهوم "الأمن الإنساني" كمقاربة تُركّز على الفرد واحتياجاته النفسية والاجتماعية، بدلاً من الاقتصار على استقرار الدولة. (قاسم، 2009، ص 270) في هذا الإطار، لا يقتصر الأمن الإنساني على الحماية المادية، بل يشمل أيضاً الأبعاد النفسية المرتبطة بتجربة القلق والانتماء. فالقلق يعكس اختلال الشعور بالأمان، بينما يُسهم الانتماء في إعادة التوازن وتوفير الإحساس بالطمأنينة. وفي ضوء ما سبق، سنقدّم قراءة نفسية-اجتماعية لديناميات القلق والانتماء في سياق الأمن الإنساني، وذلك من خلال ستة محاور رئيسية تتناول: البنية الموضوعية والتجربة الشعورية للأمن، والقلق بوصفه مؤشراً على هشاشة الأمن النفسي والاجتماعي، والانتماء كآلية لإعادة بناء التوازن الداخلي، والطمأنينة النفسية كأفق رمزي يعبر عن تحقق الأمن الإنساني في أبعاده العميقة، إضافة إلى قراءات تطبيقية تسلط الضوء على أوجه التهديد والتحوّل التي تواجه الأمن الإنساني في ظل التحولات المعاصرة.

1. الأمن الإنساني بين البنية الموضوعية والتجربة الشعورية:

ظل مفهوم الأمن لعقود طويلة حبيس المقاربات الكلاسيكية التي تربطه بالقدرة على الردع، والسيطرة على المجال العام، وحماية الدولة من التهديدات

الخارجية أو الانفلات الداخلي. وقد تمثّل هذا التصور في مؤشرات صلبة ومؤسّساتية، مثل استقرار النظام السياسي، نجاعة الأجهزة الأمنية، أو توفر الوظائف والنمو الاقتصادي. غير أن هذا المنظور، على أهميته، يُغفل بُعداً أساسياً وحاسماً هو كيفية عيش الأفراد لتجربة الأمان أو الخوف في حياتهم اليومية.

فالسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: هل يكفي أن تكون الدولة قوية ومؤسّساتها فعالة حتى يشعر الفرد بالأمن؟ أم أن هناك مسافة – في كثير من الأحيان – تفصل بين الأمن كواقع موضوعي والأمن كتجربة شعورية؟ هذا التوتر بين البنية والوجدان هو ما يدفعنا إلى إعادة التفكير في مفهوم الأمن من زاوية نفسية-اجتماعية، تضع الإنسان لا كعنصر في منظومة، بل ككائن يشعر، ويقلق، ويبحث عن الطمأنينة والانتماء.

يقتضي التحليل النفسي-الاجتماعي أن نفرّق بين مستويين من الأمن:

- الأمن الخارجي (أو الموضوعي): يتعلّق بوجود ظروف مستقرة، قوانين فاعلة، حماية من الأخطار، وشبكات دعم اجتماعي واقتصادي.
- الأمن الذاتي (أو الشعوري): يُعبّر عن الإحساس الداخلي بالطمأنينة، أي شعور الفرد بأنه غير مهدد، محاط بالمعنى، مندمج في محيط يمنحه الاعتراف والاحتواء.

يساعد التمييز بين الأمن كواقع موضوعي والأمن كتجربة شعورية في فهم كيف يمكن أن يشعر الإنسان بعدم الأمان حتى في بيئات مستقرة ظاهرياً، إذا افتقد المعنى أو عانى من العزلة أو تهديد الهوية. بالمقابل، قد يحافظ بعض الأفراد على الطمأنينة رغم صعوباتهم، بفضل شبكات الدعم أو المرجعيات الرمزية التي تمنحهم شعوراً بالانتماء.

تُظهر التحولات المعاصرة أن الأمان لم يعد يرتبط فقط بالعوامل الخارجية، بل بات القلق ينبع من الداخل: من فقدان السيطرة، والعزلة، وانهيار المعنى. فقد أدى تسارع الحياة وتراجع التماسك الاجتماعي إلى بروز أشكال جديدة من القلق الوجودي.

من هنا، تبرز الحاجة إلى تصور شامل للأمن الإنساني يتجاوز الأطر البنيوية ليشمل الأبعاد النفسية والوجدانية، مثل الاعتراف الاجتماعي، والهوية

المتماسكة، والفاعلية. فالأمن ليس مجرد غياب للتهديدات، بل هو قدرة الفرد على العيش بمعنى والتكيف دون شعور بانعدام القيمة. بناء الأمن، إذن، لا ينطلق فقط من السياسات، بل من فهم عميق لكيفية تشكل الإحساس بالأمان في علاقة الإنسان بذاته والآخرين والواقع المتغير من حوله.

2. القلق كعلامة على هشاشة الأمن الإنساني: مقارنة نفسية-اجتماعية:

في المنظور النفسي-الاجتماعي، يُفهم القلق ليس فقط كاضطراب داخلي يعتري الفرد، بل كعرض كاشف لهشاشة عميقة تمسّ أسس الأمن الإنساني في علاقته بالواقع الاجتماعي والثقافي. فالأمن الإنساني لا يتحقق بمجرد انتفاء التهديدات الخارجية أو توفر الشروط المادية للحياة الكريمة، بل يركز على شعور الفرد بالاتساق الداخلي، وبقدرته على التفاعل الآمن والمستقر مع محيطه. حين يختل هذا الاتساق، يظهر القلق كعلامة إنذار، وكاشف لانكسار في الرابط النفسي-الاجتماعي بين الذات والعالم. (بوداري، 2021، ص 215)

القلق، بهذا المعنى، هو أثر مباشر لاختلال شعور الفرد بالانتماء، وبالمعنى، وبالقدرة على التوقع والسيطرة النسبية. ففي السياقات التي تهيم عليها التحوّلات السريعة والاضطرابات المجتمعية، يضعف الإحساس بالثبات والاستمرارية، وتتفكك البنى الرمزية التي تمنح الحياة معناها: مثل الانتماء الديني، أو الثقافي، أو حتى العائلي. وهكذا يصبح الفرد معرضاً لقلق وجودي لا يرتبط بتهديد مادي مباشر، بل بإحساس عميق بعدم الأمان النفسي والاجتماعي، بفقدان المألوف، وضبابية المستقبل، وتآكل ثقة الذات.

من الناحية النفسية، يرتبط القلق بمشاعر الضعف، والتشتت، والعجز عن الفهم أو المواجهة، ويكون غالباً مصحوباً بتجربة داخلية من التهديد الغامض الذي لا يمكن تسميته بدقة. لكن ما يجعل هذا القلق أكثر رسوخاً في الزمن الحاضر، هو تغذّيه المستمر من العوامل الاجتماعية التي تضع الأفراد في موقع هشّ: التفكك الأسري، البطالة، العزلة، تغيّر معايير النجاح، انهيار الثوابت الجماعية، وتضخم الأعباء النفسية في مجتمع يفرط في التنافس والتقييم الذاتي.

أما من الجانب الاجتماعي، فإن القلق يُعاد إنتاجه ضمن منظومات الخطاب والسلوك الجمعي. المجتمعات التي تمرّ بأزمات مزمنة أو فقدان للثقة السياسية والاقتصادية، تكون بيئة خصبة لتفاقم مشاعر القلق. يظهر ذلك في انتشار نظريات المؤامرة، أو التعلق بهويات مغلقة، أو تصاعد أشكال العنف الرمزي والمادي. في مثل هذه البيئات، يتحوّل القلق من حالة فردية إلى حالة جماعية، ويُعاد تصديره بين الأفراد على شكل قلق اجتماعي مشترك، يغذّي السلوك الدفاعي، ويعوق إمكانيات التواصل والتعاطف والانفتاح.

إن ما يكشفه القلق، في نهاية المطاف، هو أن الأمّن الإنساني لا يمكن اختزاله في البُعد الموضوعي الخارجي، بل لا بد من تحليله كخبرة شعورية تتشكل في قلب التفاعلات النفسية والاجتماعية. فغياب التهديد لا يعني تلقائياً حضور الأمان، تماماً كما أن استقرار المؤسسات لا يضمن بالضرورة طمأنينة الفرد. لذلك، فإن المقاربة النفسية-الاجتماعية للقلق تفرض علينا إعادة التفكير في الأمّن الإنساني بوصفه حالة معيشة، تتطلب الاعتراف بحاجات الإنسان للشعور بالانتماء، وبالقدرة، وبالمعنى، أكثر من مجرد حمايته من الخطر.

3. التحوّلات المعاصرة والقلق الوجودي: نحو فهم نفسي-اجتماعي لهشاشة الأمّن الإنساني:

أمام تسارع وتيرة التحوّلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتكنولوجية، يعيش الفرد المعاصر حالة متزايدة من التقلّب الداخلي، تتجلى في قلق وجودي لا يرتبط بتهديد مادي مباشر، بل بشعور عميق بالضيق، وفقدان اليقين، وتآكل المعنى. لم يعد القلق مجرد اضطراب نفسي فردي، بل تحوّل إلى ظاهرة جماعية تعبّر عن اختلالات بنيوية في علاقة الإنسان بالعالم، وبتصوراته عن ذاته، ومستقبله، ومكانه في المجتمع.

تولد هذه التحوّلات نوعاً من الهشاشة النفسية-الاجتماعية، إذ يعاني الفرد من تراجع الإحساس بالثبات والاستمرارية، سواء في المجال الاقتصادي حيث تتهدد الاستقرار الوظيفي والعدالة الاجتماعية، أو في الحقل السياسي حيث تتزعزع الثقة في المؤسسات والأنظمة، أو في النسيج الاجتماعي الذي يشهد تفككاً متزايداً في الروابط التقليدية مثل الأسرة والمجتمع المحلي. إلى جانب

ذلك، تسهم الثورة الرقمية في تفاقم مشاعر التششت والضغط النفسي، من خلال تسارع الإيقاع المعرفي، وتكثيف المقارنات الاجتماعية، وإعادة تشكيل معايير النجاح والتواصل.

في هذا السياق، لا يعود القلق مجرد استجابة ظرفية، بل يصبح علامة كاشفة لهشاشة الأمن الإنساني، إذ يفقد الفرد إحساسه بالانتماء إلى عالم يمكن التنبؤ به وفهمه، ويفقد أيضاً ثقته في أدواته النفسية والاجتماعية لمواجهة التغيير. ومع تفكك المعايير الجماعية، يتراجع الإحساس بالمعنى، ما يضاعف الشعور بالهشاشة والاعتراب.

ورغم هذه الصورة القاتمة، فإن مفهوم الأمن الإنساني، إذا ما تم فهمه في أبعاده النفسية-الاجتماعية، يمكن أن يوفر أفقاً بديلاً لمواجهة هذا القلق المتفاقم. فبدل أن يُختزل في أبعاده المادية أو المؤسساتية، يفتح الأمن الإنساني على الحاجة إلى الطمأنينة النفسية، والشعور بالانتماء، والمعنى، والكرامة. من هذا المنظور، يصبح الأمن ليس مجرد حماية من التهديد، بل قدرة على إعادة بناء الذات في علاقة متوازنة مع العالم والآخرين، عبر ترميم شبكة العلاقات والدلالات التي تمنح الحياة معناها.

وهكذا، فإن دور الأمن الإنساني لا يقتصر على معالجة آثار القلق، بل يتعداه إلى تفكيك أسبابه البنيوية، من خلال دعم السياسات المجتمعية والرمزية التي تعزز الانتماء، وتعيد الثقة في المستقبل، وتمنح الأفراد إمكانات أوسع لإعادة بناء اتساقهم الداخلي، واستعادة شعورهم بالأمان، رغم هشاشة الواقع.

4. الانتماء كآلية لإعادة بناء الأمن الداخلي:

في ظل القلق الوجودي الذي تفرزه التحولات المعاصرة، يبرز الانتماء كركيزة نفسية واجتماعية لإعادة بناء الإحساس بالأمن. فالأمان لا يتحقق فقط بغياب التهديدات المادية، بل حين يجد الفرد موقعاً داخل نسيج رمزي أو اجتماعي يمنحه الاعتراف والمعنى، ويسند هويته في مواجهة التصدعات.

الانتماء ليس مجرد رابط عاطفي أو قانوني، بل هو تجربة مركبة يتداخل فيها الذاتي بالجماعي، والوجداني بالرمزي. إنه شعور بالارتباط بجماعة أو ثقافة أو منظومة قيم تمنح الفرد ثباتاً في عالم مضطرب. لكن حين يتعرض هذا الانتماء

للتهديد بالتهميش أو النفي أو فقدان الاعتراف، تتزعزع مرتكزات الأمن الداخلي، ويغدو الفرد أكثر عرضة للعزلة وفقدان المعنى.

تتبع أهمية الانتماء من كونه يوفر للفرد إجابات على أسئلة الهوية والغاية والارتباط، وهي أسئلة مركزية في تكوين الإحساس بالأمان النفسي. فالانتماء الديني، مثلاً، يزود الإنسان برؤية كونية متماسكة، ويمنحه أدوات رمزية لتفسير المحن والآلام. أما الانتماء الثقافي أو المجتمعي، فيوفر له روابط اجتماعية تحميه من العزلة، وترسخ لديه شعوراً بالمشاركة والانخراط في مشروع جماعي. وتتجلى وظيفة الانتماء أيضاً في خلق الإيقاع والطقوس والمعاني المشتركة، وهي عناصر حيوية في ترسيخ الطمأنينة، لأنها تُعيد للزمن بعده الدوري والمعقول، وتحول الاضطراب إلى نظام رمزي يمكن التعايش معه. من خلال هذه الآليات، يتحول الانتماء إلى قوة وقائية تمنح الذات الفردية دعماً خفياً لكنه فعال في مواجهة التفكك الداخلي والقلق.

غير أن الانتماء نفسه ليس ثابتاً أو طبيعياً، بل هو بناء اجتماعي وثقافي يتطلب صيانة وتجديداً دائمين. فحين تغيب السياسات الحاضنة للانتماء، أو تُضعفها صراعات الهويات، أو تُفرغها العولمة من مضامينها، يعود التهديد بالقلق والاغتراب ليطفو من جديد. لذلك، فإن تعزيز الانتماء لا يعني الانغلاق أو النكوص إلى الهويات الجامدة، بل يتطلب بناء أطر مرنة وشاملة تسمح بتعدد الهويات داخل وحدة رمزية تؤمن الحماية والدعم والاعتراف.

يسمح فهم الأمن الإنساني من خلال الانتماء برؤية كيف تشكل الروابط الرمزية والاجتماعية درعاً نفسياً في وجه التهديد، إذ تمنح الأفراد دعماً داخلياً يُرمم الذات ويُعيد الكرامة والمعنى. فالانتماء ليس مجرد استجابة لقلق الهوية، بل هو وسيلة لإعادة بناء الأمن من الداخل حين تعجز الحماية الخارجية عن تحقيق الطمأنينة.

في المقابل، يُعمّق تفكك الروابط الاجتماعية مشاعر عدم الأمان، فبانهايار شبكات الدعم أو تآكل الثقة، تضعف قدرة الفرد على التكيف، ويغدو أكثر عرضة للقلق والعزلة. يتجاوز التهديد هنا البعد الخارجي، ليتسرب إلى الداخل عبر الإحساس بالانفصال والتهميش.

بهذا المعنى، يصبح الانتماء عنصراً وقائياً يعزز مناعة الفرد النفسية، ويقوّي قدرته على مواجهة الأزمات وإعادة بناء المعنى. لذا، لا يُعدّ الانتماء ترفاً رمزياً، بل ضرورة أساسية لصيانة الأمن الإنساني، خاصة في عالم تتزايد فيه مشاعر الهشاشة والانفصال.

5. الطمأنينة النفسية كهدف رمزي للأمن الإنساني: بين الحاجة النفسية والتكوين الاجتماعي:

إذا كان الأمن الإنساني يتجاوز الحماية المادية ليشمل الأبعاد النفسية والاجتماعية، فإن الطمأنينة تمثل إحدى غاياته الأساسية وأكثرها عمقاً. فهي ليست مجرد انفعال عابر، بل حالة شعورية- وجودية تتجلى في الإحساس بالاستقرار، والقدرة على التوقع، والانخراط الآمن في العالم. الطمأنينة هنا لا تعني غياب القلق بالمطلق، بل القدرة على احتوائه ضمن إطار من المعنى والانتماء. في المجتمعات التي تمر بتحوّلات سريعة أو أزمات متكررة، تصبح الطمأنينة نادرة وهشة، ويُنظر إليها كـ"ترف نفسي". غير أن الدراسات النفسية والاجتماعية تُظهر أن غياب الطمأنينة لا يؤدي فقط إلى اضطرابات فردية، بل يُسهم في تفكك النسيج الاجتماعي، وانتشار مشاعر العجز والاغتراب. من هنا، يمكن اعتبار الطمأنينة مؤشراً مركّباً على جودة الأمن الإنساني، لأنها تعبّر عن توازن الفرد مع ذاته ومع محيطه.

وتتجلى الوظيفة الرمزية للطمأنينة في قدرتها على توفير إطار داخلي لمواجهة التهديدات الخارجية، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية. إنها تمثل نوعاً من "الدرع النفسي" الذي يُعيد للأحداث القاسية معناها، وللمواقف المربكة سياقها، وللذات المتزعزعة اتساقها. وهذا الدرع لا يُبنى فقط عبر ضمان الحقوق أو تحسين الظروف المعيشية، بل من خلال ترسيخ منظومات رمزية وثقافية واجتماعية تسمح للفرد بأن يشعر بأنه مرئي، ومفهوم، ومحتضن.

تُبنى الطمأنينة النفسية من خلال عوامل متعددة، أبرزها: الانتماء الجماعي، المعنى الوجودي، الاستقرار الحياتي، والعلاقات الداعمة. وتشير دراسات نفسية إلى أن من يملكون مرجعية رمزية واضحة - دينية أو ثقافية - يتمتعون بثبات داخلي يعينهم على تجاوز الأزمات، بفضل "بوصلة داخلية" تمنحهم الاتزان.

في المقابل، فإن الطمأنينة الزائفة، القائمة على الإنكار أو الخطابات المطمئنة سطحياً، تزيد من الهشاشة النفسية، لأنها تُنتج فجوة بين الواقع وتصور الفرد له. ولهذا، يصبح من الضروري بناء طمأنينة واقعية، تعترف بالقلق دون أن تستسلم له، وتعتمد على روابط رمزية واجتماعية قادرة على احتواء هشاشة الإنسان لا إنكارها.

وعليه، فإن الأمّن الإنساني لا يكتمل إلا حين يتحقق كإحساس داخلي متجدّد، يتغذّى من شبكة معاني وعلاقات حقيقية، ويمنح الفرد قدرة مستدامة على مواجهة القلق والاغتراب في عالم سريع التحول.

6. قراءات تطبيقية في ديناميات القلق والانتماء: بين التهديد والتحول:

لفهم الطابع المركّب للأمّن الإنساني، من الضروري الانتقال من التحليل النظري إلى استكشاف بعض السياقات التطبيقية التي يتجلى فيها التفاعل بين القلق والانتماء، وخاصة في المجتمعات التي تمرّ بتحوّلات جذرية أو تعيش تحت وقع الأزمات. ففي مثل هذه السياقات، يتخذ الأمّن الإنساني طابعاً ملموساً ومعاشاً، حيث تُختبر قدرة الأفراد والمجتمعات على مواجهة التفكك، واستعادة الإحساس بالطمأنينة والانتماء.

- اللاجئون والمهاجرون: بين اقتلاع الجذور وإعادة بناء الذات

تُعد تجربة اللجوء والهجرة القسرية من أبرز الحالات التي تُمثّل تهديداً مباشراً للأمّن الإنساني. فالأفراد الذين يُجبرون على مغادرة أوطانهم لا يفقدون فقط منازلهم، بل يُنتزعون من منظوماتهم الرمزية، وهوياتهم الاجتماعية، وشبكاتهم الداعمة. هذا الاقتلاع يُنتج حالة مركبة من القلق الوجودي، والشعور بالضيق، والانكشاف.

غير أن بعض اللاجئين ينجحون في إعادة تشكيل شعورهم بالأمان من خلال بناء مجتمعات جديدة للانتماء، سواء كانت دينية، ثقافية، أو حتى افتراضية. كما تلعب الذاكرة الجماعية والرموز الثقافية دوراً في المحافظة على التماسك النفسي، إذ تُمكن الفرد من ترسيخ هويته في مواجهة الاغتراب. (فرادي، 2023، 450).

- المجتمعات ما بعد الصراع: من الانقسام إلى الترميم

في أعقاب الحروب أو النزاعات الداخلية، تعيش المجتمعات حالة من التفكك الشامل، ليس فقط على مستوى البنى التحتية، بل على صعيد الثقة، والسرديات المشتركة، والانتماء الوطني. هنا يصبح الأمن الإنساني مهددًا بفعل القلق الجماعي، والعدمية، والصدمة النفسية.

لكن مسارات العدالة الانتقالية، وبرامج المصالحة، وإعادة إحياء الرموز الجامعة يمكن أن تساهم في ترميم الطمأنينة العامة، وإعادة تشكيل الهوية الجماعية. كذلك تبرز أهمية الطقوس المجتمعية والحوارات الثقافية كوسائل لبناء مساحة آمنة تُتيح التعبير عن الألم، وتؤسس لسردية مشتركة تتجاوز الانقسام.

- المجتمعات تحت الضغط الاقتصادي:

في ظل الأزمات الاقتصادية المتكررة، يواجه الأفراد تهديدًا لهويتهم العملية والاجتماعية، ويتولد لديهم شعور بالعجز وعدم الجدوى. ويظهر القلق الوجودي هنا في صور متعددة: خوف من المستقبل، انعدام الاستقرار، تراجع الحافز، وانهيار الثقة بالمنظومات.

مع ذلك، تبرز ممارسات فردية ومجتمعية تُساهم في مقاومة هذه الحالة، مثل التضامن المجتمعي، الاقتصاد التشاركي، المبادرات المحلية، أو العودة إلى الهويات الثقافية. هذه الآليات لا تُلغي الأزمة، لكنها تُعيد بناء شعور بالسيطرة والانتماء، وتمنح معنى للمعاناة ضمن أفق مشترك.

تكشف هذه الأمثلة أن القلق والانتماء ليسا مفاهيم نظرية فحسب، بل هما قوى متفاعلة تُعيد تشكيل التجربة الإنسانية للأمن. ففي مواجهة التهديدات المتعددة، لا يكفي التركيز على السياسات والمؤسسات، بل ينبغي الانتباه إلى الممارسات اليومية، والرموز، والعلاقات التي تبني الأمن من الأسفل.



خاتمة:

جاء اختيار موضوع "الأمّن الإنساني في سياقات التحول: قراءة نفسية-اجتماعية في ديناميات القلق والانتماء" استجابةً لحاجة معرفية وواقعية ملحة لفهم كيف يتشكل الإحساس بالأمّن أو بانعدامه لدى الأفراد، في عالم تتزايد فيه التهديدات غير التقليدية، وتتسارع فيه التحولات التي تطال البنى النفسية والاجتماعية إلى جانب الأطر السياسية والاقتصادية.

وقد تمحورت الإشكالية الأساسية للدراسة حول: كيف تتفاعل ديناميات القلق والانتماء في تشكيل تجربة الأمّن الإنساني ضمن سياقات التحول؟ ومن خلال المقاربة النفسية-الاجتماعية المعتمدة، تبين أن تجربة الأمّن لا تنفصل عن البنية الشعورية والرمزية للفرد، بل تتجلى من خلال التوازن أو الاضطراب في مشاعر الطمأنينة والانتماء، مما يجعل الأمّن الإنساني حالة مركبة تتجاوز الأمان المادي إلى عمق التجربة الذاتية للفرد داخل المجتمع. وانطلاقاً من هذا الطرح، سعت الدراسة إلى تحليل هذا التفاعل المركب بين القلق والانتماء في تشكيل إدراك الأفراد للأمّن ضمن بيئات متحوّلة، مستندة إلى المنهج الوصفي-التحليلي، ومسترشدة بأمثلة تطبيقية من الواقع المعاصر، كأوضاع اللاجئين، والمجتمعات الخارجة من النزاعات، والفئات المتأثرة بالأزمات الاقتصادية والتغيرات التقنية المتسارعة.

وقد أفضت نتائج الدراسة إلى ما يلي:

- أن الأمّن الإنساني لا يُبنى فقط عبر السياسات والمؤسسات، بل يركز على التجربة الشعورية للفرد، ومدى إدراكه للأمان أو الخوف في محيطه.
- أن القلق الوجودي يشكل مؤشراً على خلل في شبكات الانتماء والمعنى، وليس مجرد اضطراب فردي.
- أن الشعور بالانتماء، بما يتضمنه من روابط ثقافية واجتماعية ورمزية، يمثل ركيزة أساسية لتعزيز الأمّن النفسي.
- أن السياقات التي تشهد تحولات عنيفة أو متسارعة غالباً ما تُنتج حالات من التفتت الاجتماعي، والانكشاف النفسي، وغياب الطمأنينة.

وانطلاقاً من هذه النتائج، توصي الدراسة بما يلي:

- إعادة صياغة مفهوم الأمن الإنساني ليشمل أبعاده النفسية والاجتماعية إلى جانب الأبعاد الاقتصادية والسياسية.
- إدماج مؤشرات الطمأنينة النفسية والانتماء ضمن سياسات الحماية والتنمية.
- دعم السياسات الثقافية والتربوية التي تعزز الهوية والانتماء، لا سيما لدى الفئات الهشة.
- النظر إلى فقدان المعنى والانتماء بوصفه تهديداً صامتاً لكنه فعال في تقويض أسس الأمن الإنساني.
- في المحصلة، لا يتحقق الأمن الإنساني فقط عبر الردع والسيطرة، بل من خلال تمكين الإنسان نفسياً واجتماعياً في عالم متغير. إنه مشروع يتطلب مقارنة تكاملية، تُنصت للهشاشة كما تُعنى بالقوة، وتربط بين السياسة وعلم النفس، وبين المعايير البنيوية والروابط الحيّة التي تمنح الحياة معناها.

قائمة المراجع:

- بلميهوب، هجيرة، (2024). واقع تأثير اللجوء البيئي على التنمية المستدامة من منظور الامن الإنساني. مجلة القانون والعلوم البيئية. 3(1)، 448-465.
- بوداري، عز الدين، (2021). فاعلية برنامج علاجي مقترح يعتمد على الرسم واللعب في تخفيف درجة القلق والاكتئاب لدى الطفل الاصم من 9-12 سنة. آفاق علمية، 13(2)، 210-230.
- بوعون، فوزية وقارة، نبيلة، (2025). التكنولوجيا الرقمية وعلاقتها بظهور القلق النفسي والسلوك العدواني لدى المراهقين. مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف، 9(2)، 156-175.
- خشايمية، لزهة وحداوي، سمير، (2021). مفهوم الأمن الإنساني: بين القانون الدولي والقانون الداخلي الجزائري. حوايات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والانسانية. 15(2)، 223-237.
- دشيشة، الأمين وليوز، عبد الله، (2019). مستوى إدراك مدرسي التربية البدنية والرياضية لقيم الانتماء السائدة في المنهاج الدراسي - دراسة ميدانية على بعض متوسطات ولاية المسيلة - . مجلة المحترف، 6(2)، 42-50.

- الريماوي، عمر، (2014). مستوى القلق الاجتماعي لدى عينة من طلبة جامعة القدس. مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، 5(3)، 55-67.
- سيد كامل رجب، ريهام، (2023). تطور مفهوم الامن الإنساني وانعكاسه على دور مجلس الأمن الدولي. المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية بجامعة الإسكندرية. 8(5)، 352-382.
- الصوفي بكيل، حسين ناصر وصحراوي، مراد، (2012). السلوك القيادي للمدربين وعلاقته بحالة القلق لدى الرياضيين قبل وأثناء المنافسة في ميدان ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية – دراسة حول رياضي المسافات الطويلة لأندية الدرجة الأولى (فئة الشباب). المجلة العلمية للتربية البدنية والرياضية، 11(1)، 36-62.
- عبيدي، صالح، (2018). دور مناهج التربية البدنية والرياضية في تنمية قيم مجال الانتماء لدى تلاميذ المرحلة الثانوية كما يدركها أساتذة التربية البدنية والرياضية - دراسة ميدانية بثانويات ولاية الشلف-. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 10(3)، 1-19.
- فرادي، عبد المالك، (2023). الحماية الدولية للنازحين من منظور القانون الدولي لحقوق الإنسان. المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، 8(1)، 822-847.
- قاسم، انتصار، (2009). دراسة القلق الاجتماعي وعلاقته بالصلابة النفسية لدى طلبة الجامعة، مجلة العلوم النفسية، 15(1)، 271-317.
- قمار، خديجة، (2023). تحديات تطورات وتعزيز الامن الإنساني. مجلة القانون والعلوم البيئية. 2(3)، 834-848.
- محمدي، عبد القادر، (2016). الانتماء التنظيمي: الماهية والمفهوم. مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، 7(1)، 103-113.
- مسري، إبراهيم محمد، (2022). اللاجئ البيئي من منظور الامن الإنساني، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة الاسكندرية، 7 (13)، 137-158.
- نابتي، فضيلة، (2024). انتشار اضطرابات القلق عند الأطفال والمراهقين في الوسط المدرسي. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، 25(1)، 27-46.